مولانا محمـــد علي

الاستاذ علي محمد سرطاوي

بقية ما نشر في العدد الماضي

صدر العدد الأول من مجلة (ريفيو أف ريليجن) في كانون الثاني ١٩٠٢ ، وقد جاء في تحديد أهداف المجلة ما يأتي : (إننا نرمي من وراء إصدار هذه المجلة إلى غايتين واضحتين : الأولى ، أن نقود البشر إلى الصراط المستقيم حين نعلمهم المثل العليا ونحبب إليهم الصدق والإيمان ، وحين ننشر بينهم المعرفة الحقة ، وأخيرا أن نصدر أعمالهم في الحياة عن المبادئ السامية التي أنزلها الله على نبيه في الإسلام . والثانية : أن نجذبهم بمغناطيسية قوية من روعة الدين نجعلهم يسيرون مسحورين ، في طريق الهدى ، ونوقظ في نفوسهم القوة التي تدفعهم تحت تأثيرها للعمل بأوامر الدين واجتناب نواهيه)

ثم يمضي في شرح الرسالة السامية وينتهي عند قوله : (وستقوم هذه المجلة بالدفاع عن قضية الدين الحنيف ، وتقاوم كل المعتقدات الفاسدة الممعنة في الضلال المبين ، تلك المعتقدات التي ليست في حد ذاتها غير تجاوز على ما يجب نحو الخالق أو على ما يجب نحو المخلوق)

وكانت المقالة الأولى التي ترجمها مولانا محمد علي في هذه المجلة هي تلك التي كتبها مؤسس الحركة الأحمدية لهذه المناسبة ، وكان عنوانها : (كيف نتخلص من الذنوب)

وأخذت المجلة تركز أبحاثها على ما كان يضطرم في عقول الناس في تلك الفترة الزمنية ، من القلق ، والشك ، والحيرة ، ولم يمض على ذلك العمل غير سنوات ثلاث ، حتى كانت المجلة قد أخذت طريقها إلى أرقى الأوساط في إنجلترا وأمريكا . وكان من أبرز السمات التي امتازت بها ، تركيزها المحكم الدقيق في عرض مبادئ الإسلام عرضا موفقا بديعا ، على الرغم من استهدافها لحملات عنيفة قاسية ، قام بها رجال الدين من الإكليروس النصراني ، ولكنها صمدت لهم وهزمتهم في عقر دورهم وأحرست الباطل في ألسنتهم

وكانت في نفس مؤسس الأحمدية رغبة قوية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، وقد صرح بذلك في كتابه المسمى (إبتلا أو هام) غير أن المنية لم تمهله ليرى ذلك الحلم الجميل حقيقة ناصعة ، فسار إلى لقاء ربه في السادس والعشرين من أيار ١٩٠٨ ، تاركا رئاسة الحركة التي أسسها إلى المرحوم مولانا نور الدين الذي اشتهر بين الناس بعلمه ودينه

ودعي مولانا محمد علي عام ١٩٠٩ ليقوم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، وراح في صمت المؤمن ، وصبر المجاهد ، يواصل العمل طيلة سنوات ثمان . ولم يكن هذا العمل بالشيء اليسير ، وإنما كان شائكا معقدا وعر المسالك ، تتلب عليه بهمة أقوى من راسيات الجبال : إذ كان التعليق على الآيات وتفسيرها ونقل معانيها ، يتطلب دراسة أمهات كتب الأحاديث ومراجعة جميع المعروف من المعاجم العربية لأمانة نقل المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ العربي ، إلى الإنجليزية نقلا صادقا دقيقا ، وكان يعمل في كل يوم من تلك السنوات الثمان اثنتي عشرة ساعة عملا متواصلا ، حتى إذا ما أتعبه الجلوس ، انتصب قائما واستعان على عمله بمنضدة مرتفعة يعمل عليها وهو واقف في يسر وسهولة

وتمت الترجمة بكل ما أضيف إليها من حواش وتعاليق وشروح ومقدمات وأضيف إليها النص العربي ، فبلغت الآلاف من الصفحات عام ١٩١٧

وفي هذا الوقت بدأت الخلافات في الحركة الأحمدية وانشقت على نفسها ، وهو أمر يستوجب الأسف والحزن ، ولكنه أمر لم يكن منه بد ، ذلك أن أصدقاء مؤسسي الأحمدية وأعداءه على السواء قد نالوا منه وشوهوا أهدافه واقترفوا الضلال المبين عليه ، لأن فئة قليلة من أتباعه ، دفعتهم العاطفة ، وحملهم الوهم على اعتباره نبيا بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، واعتقدوا أن جميع الذين لا ينظرون إليه على هذا الشكل إنما هم كفرة خارجون عن حظيرة الدين الإسلامي

وبعد وفاة مولانا نور الدين عام ١٩١٤ ، ترك مولانا محمد علي

قاديان فى شهر نيسان من تلك السنة ، مبتعداً بنفسه عن تلك الفتنة التى أثارت هذا النزاع فى قاديان ، واستقر فى لاهور ، وأسس الجمعية الأحمدية لإشاعة الإسلام فيها ، وانتخب لرئاستها ، وانقطعت صلته بالجماعة الأحمدية فى قاديان منذ ذلك التاريخ . ولكن على الرغم من الواجبات العملية الشاقة التى تتطلبها رئاسته لتلك الجمعية الإسلامية ، فإن أعماله الأدبية ونشاطه الفكرى لا يزالان على روعتهما وقوتهما وعمقهما وشمولهما

وأتم ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الأوردية بعد ظهور الطبعة الإنجليزية بسبع سنوات

وهو كاتب من الطراز الأول ، عزيز الإنتاج ، ألف عددا كبيرا من الكتب عن التاريخ والدين الإسلامى باللغة الإنجليزية . ولقد كتب ما يقرب من عشرة آلاف صفحة باللغة الإنجليزية ، وعشرة آلاف صفحة أخرى باللغة الأردية عن المواضيع الإسلامية

قال السر ماردوك باكتال وهو من الإنجليز الذين هداهم الله إلى الدين الإسلامى ؛ من الذين تصدوا لترجمة معانى القرآن إلى الإنجليزية ، عن كتـــاب مولانا محمد على (دين الإسلام) الذى ألفه فى اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٦ مايأتى :

(لم يستطع إنسان من المعاصرين أن يخدم الإسلام ، بأوسع ما فى الخدمة من معنى ، كما استطاع مولانا محمد على)

ويعتبر مولانا محمد على من القلائل من بين بنى الإنسان الذين يطيقون العمل المعقد المضنى ويصبرون السنوات على احتماله بجلد عظيم . وليس ذلك كل ما يمتاز به ، إنما يضاف إليه الترتيب فى العمل ، والاستفادة من الوقت على أحسن الوجوه بصورة لا يقدر أن يجاريه أى أوربى فى مضمار من هذا النوع . وهو فى عاداته شديد الاتزان شأنه فى ذلك شأن دقته فى الحكم على الأشياء والناس والمشاكل فى عظائم الأمور . وعلى الرغم من عدم احترافه المحاماة ، فإن دراسته العميقة للقانون جعلت أحكامه مبنية على الحقائق لا على العواطف المثيرة . ولقد تركزت هذه الصفات الرائعة فى الحركة الأحمدية التى أسسها فى لاهور ، وابتعد بذلك عن أتباع الحركة نفسها من المتطرفين فى قاديان

ومنذ موت مؤسس الأحمدية ، تعرضت الحركة التى أسسها إلى عوامل مختلفة ، داخلية وخارجية عنيفـــة ، غير أن مولانا محمد على وقف كالصخرة الراسية أمام هذه العواصف خشية أن تعصف بالناحية الروحية المثالية الرائعة التى هى رسالة هذه الحكمة فى توجيه مبادئ الإسلام لخدمة الإنسانية

لقد بلغ مولانا محمد على من النجاح شأوا بعيدا قلما بلغه إنسان مثله ، بسبب إيمانه العميق بالله ، ذلك الإيمان الذى لم تكن لتقوى أعاصير الحياة على زعزعته ، والذى كان يزيد فى رسوخه ومتانته إدمانه قراءة القرآن ، والأحاديث المأثورة عن الرسول ، والذكريات القوية العميقة الجذور فى عواطفه عن مؤسس الحركة الأحمدية ، وخشوعه فى صلواته التى لا تنقطع لله تعالى . وهو حين يصلى ، كثيرا ما ينفصل عما يحيط به من عالم مادى ، وينطلق بروحه إلى آفاق الغيب البعيدة عن حدود الدنيا ، فتمر الدقائق وهو لا يشعر بما يدور حوله من حركة وما ينبعث عن الحياة من ضوضاء وتشويش

ومن عادة مولانا محمد على أن يستيقظ فى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ، ولقد مرت عليه سبعون سنة وهو يستيقظ فى هذا الموعد ليفتتح فى مثل هذه الساعة المبكرة التى هى أحلى ساعات النوم عند الذين يعيشون بلا أهداف إنسانية عظيمة فى الحياة ، وما اضطربت هذه المواعيد مرة فى هذه السنين الطويلة ، حتى إذا ما انتهى من الاستحمام ، انهمك فى صلاة التهجد حتى يطلع الفجر ، ويؤذن لصلاة الصبح . ومن عادته أن يأخذ بعد ذلك قسطا من الرياضة البدنية بعد صلاة الصبح مباشرة ، فيسير على قدميه مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وخمسة أميال . ولم يقطع فريضة واحدة من الصلوات الخمس منذ أن كان طالبا فى المدرسة وعمره لا يزيد على عشر سنين ، ولم ينقطع عن صلاة التهجد الذى كان يشارك فيها أســـتاذه ميرزا غلام أحمد منذ أن كان فى الخامسة والعشرين من عمره السعيد

ولعل بساطته ، التى نسبته إلى حد بعيد ، إلى بساطة الأطفال ، ترجع إلى عمق اتصاله بالأبد وعالم الروح وهو على الأرض ، وعلى الرغم من أن مولانا محمد على يعيش فى عالم يضطرب بالخداع والنفاق والغدر والنميمة والأذى ، فإنه فى أخلاقه كالكتاب المفتوح ، يستطيع كل إنسان أن يقرأ فيه من النظر إلى قسمات وجهه

بريطانيا العظمى

الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

(تابع)

حديث :

في يونية ١٩٤٥ كنت قادما من بور سعيد إلى القاهرة، وكان يرافقني أحد الزملاء الكرام ورجل إنجليزي كان يرتدي الثياب المدنية ومعه حقيبة مكتوب عليها بيروت ، وكانت بيروت ودمشق تثيران اهتمام العرب كافة ، والمصريين خاصة، وتشغلان القلوب بما كان يجري فيها من حوادث مروعة إذ ذاك .

ذلك أن فرنسا لم تكد تتحرر من الاحتلال الألماني حتى جاءت بجحافلها إلى الشرق تحاول أن تسترد نفوذها في سوريا ولبنان وأن تقضي على استقلالهما ، وانطلقت طائراتها تضرب الآمنين من سكان بيروت ودمشق في غير إنسانية ولا رحمة، الأمر الذي أثار ثائرة الرأي العام الشرقي عامة والمصريين خاصة . وسط هذه الحوادث والفواجع كان التقائي بالرجل الإنجليزي

ولم نلبث أن تجاذبنا أطراف الحديث فقلت له « أيرضيك ما تفعله فرنسا في بيروت ودمشق ؟ إن فرنسا كانت تبكي على حريتها منذ حين ، فما بالها تقتل الحرية في غير بلادها ، ولم تروع الآمنين في ديارهم ؟ إن الشرقيين لم يقفوا من قضية الديمقراطية موقفا عدائيا طوال الحرب ، بل قدموا للحلفاء ما استطاعوا من مساعدات ! فهل يكون هذا جزاؤهم ؟ »

ولكن الرجل لم يجب وانتقل إلى موضوع آخر « ألم تكتم تقفون حقا في صف الديمقراطية ؟ » قلت « بلى » قال « فلم قتل رئيس وزرائكم ؟ (المغفور له أحمد ماهر باشا) قلت « إن هذه جريمة فردية ولا تؤخذ أمة بجريمة فرد ، والدليل على صدق ما أقول أنه لم يوجد للقاتل شركاء »

وانتقل الرجل إلى حديث آخر قال « أعندكم نظام برلماني سليم ؟ أتجري انتخاباتكم كما يجب أن تجري الانتخابات ؟ »

كل ما يجيش في عواطفه من شعور السخط أو الغبطة ؛ وهو كالمرآة الصافية الأديم ، يرى الناظر فيها كل ما في تلك النفس العظيمة من استحسان أو استنكار ، تلك النفس التي لا تعرف الخداع والتضليل والأباطيل

والذين يعرفون مولانا محمد علي معرفة دقيقة من طول عهد الصحبة في مواكب الحياة ، لا يذكرون مرة أنه مدح نفسه ، أو أشار إلى ذلك من بعيد أو قريب ، مهما حملت تلك الإشارة في طياتها

وإنما يذكرون أنه داعما ، يحصي على نفسه ذنوبها وهفواتها ويحاسبها حسابا عسيرا

* * *

وبعد فهذه شخصية إسلامية جليلة القدر ، بعيدة الأثر في خدمة الدين ، تعمل أعمال الجبابرة وراء صمت التواضع ليكون العمل خالصا لوجه الله العظيم

وسيمر الزمن وتتلقف الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين إلى التراث الخالد الذي صنعه مولانا محمد علي لنشر الدين فتعطيه ما يستحقه من تقدير ، وتنصفه من الحياة التي لا تسدد النظر في مواكبها إلا إلى الدجالين والمشعوذين، فيخلد مع الخالدين

والآن وبعد مرور نصف قرن من جهاد مولانا محمد علي ، ذلك الجهاد الذي فتح الآفاق الموصدة في وجه رسالة الإسلام الخالدة ، يقف فوق الحياة بعد أن أشاع في ظلامها النور الإلهي الذي يبعث الرحمة إلى القلوب المذبة فيها

والعبيد المذبون في أميركا ، والمنبوذون المضطهدون في الهند ، والشعوب التي تئن تحت المبادئ المزيفة التي صنعها الإنسان ، ينتظرون الفجر الذي يبدد الظلام الذي يعيشون فيه ، من عدالة الإسلام ومبادئه الإنسانية الخالدة

أمد الله في عمر مولانا محمد علي ، ونفع به، وأعز به الإسلام، وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين

بغداد

علي محمد سرطاوي